

# الحركة الانفصالية

## وخطر تفاقم « القضية اللبنانية »

« جيش التحرير الزغرتاوي » كما انه استخدم الجيش اللبناني في المشاركة في تدريب الميليشيات الطائفية وتسليحها ، وفي المعارك ضد الفريق الوطني .

ب - وزير الداخلية السيد كميل شمعون ( رئيس الجمهورية ايام فنتة ١٩٥٨ ) دخل أيضا طرفا ، ووجه جميع أجهزة الامن الداخلي لخدمة الفريق الانفصالي بالإضافة الى رعايته منذ زمن طويل لميليشيا خاصة تعرف باسم « الثمور » .

ج - حزب الكتائب ( رئيسه بيار الجميل ) يدعو الى العمل الديمقراطي من خلال مؤسسات النظام وفي الوقت نفسه يمتلك أضخم ميليشيا قامت بتنفيذ ابشع المجازر الجماعية ضد الأبرياء ، ومنها مجزرة اتوبيس عين الرمانة ( ٣٠ قتيل ) في ١٣ نيسان ١٩٧٥ ( بداية الاحداث ) ومجازر السبت الاسود ٦-١٢-٧٥ ( خطف حوالي ٣٠٠ من الشوارع والمكاتب في العاصمة ثم تصفية حوالي ٢٥٠ منهم فورا على اساس انتمائهم الاسلامي ) .

د - ظاهرة الاباتي « شربل قسيس » وهو الراهب المعروف ، رئيس الرهبانيات اللبنانية ( المارونية ) الذي كان يتبنى اكثر الافكار تطرفا ، ويشجع على اعمال العنف كافة ، ويضع الاديرة بامكانياتها في خدمة الميليشيات الطائفية على جميع الاصعدة .

هـ - رغم جميع اتفاقات وقف اطلاق النار والتي جاوز عددها الخمسين ، فان الفريق الانفصالي كان يعمد دائما الى خرق الاتفاقات والعودة للاقتتال ، حتى بلغت الخسائر البشرية ما يقدر بـ ٣٠ الف قتيل و ٨٠ الف جريح معظمهم من الأبرياء والعزل (في بلد سكانه حوالي ٣ ملايين ) . والخسائر الاقتصادية جاوزت الدخل الوطني لمدة أربع سنوات ، في الوقت الذي كانت الحرب تكلف الفريق الانفصالي ما يقارب المليون دولار يوميا ( دون ثمن الاسلحة طبعا ) .

و - منذ بدء الاحداث ، شجع الانفصاليون على التهجير ثم عملوا على تنفيذه بالعنف ، بقصف المناطق السكنية واقتحامها والتعمدي على سكانها الآمنين وعلى اموالهم واعراضهم ونسف المباني القائمة بما فيها المساجد ( حي الكرتينا ، سينيه ، الفوارنة ) . كما جرى احراق اسواق شعبية بكاملها بعد نهبها كسوق سرسق ، وقد ترتب على ذلك ردات فعل اصابت الأبرياء من اللبنانيين في الجهة الاخرى أيضا ، كما في الدامور مثلا .

- قام الانفصاليون بحصار تجويعي لمخيمات واحياء يقطنها فلسطينيون ولبنانيون ( مخيم تل الزعتر : ١٦ الف فلسطيني

اعدت « لجنة الثقافة والدراسات » في جمعية متخرجي المقاصد الاسلامية في بيروت ، هذه الدراسة - الوثيقة التي تلقي الاضواء على الاسباب الاساسية لاحداث لبنان الاخيرة .

### ١ - الحركة الانفصالية خطر على العروبة

اكدت الاحداث الرهيبة التي سادت لبنان منذ نيسان ١٩٧٥ واستمرت ستة عشر شهرا ، وجود حركة انفصالية نشطة في لبنان بين صفوف « الموارنة » ، بحيث بات من الواجب التصدي لخطورة الوضع الذي اخذ يتمثل بما يلي :

١ - تعرض العروبة في لبنان لخطر التصفية عن طريق خلق اوضاع معينة تؤدي الى نزع الهوية العربية عن لبنان نهائيا .

٢ - محاولة انشاء كيان عصري على اساس طائفي بحيث يلقي الدعم والتأييد من اسرائيل التي تجد فيه افضل مبرر لوجودها .

٣ - خطر احتمال انتقال عدوى الشعور بالانتماء الطائفي ، الذي يفكك الحس بالانتماء الوطني والقومي ، الى اقطار عربية اخرى .

وهكذا اصبح من الواجب التعرف الى الجذور التاريخية والى التحركات الحالية لتلك الحركة الانفصالية العنصرية ، تمهيدا لفضحها نهائيا ثم لمحاربتها وللتصدي لجميع وجوه تحركها المحتملة مستقبلا .

هذا مع التأكيد انه ليس من المبالغة في شيء القول باننا نعاني حاليا من « قضية لبنانية » يخشى في حال عدم مجابتهها بسرعة وجديّة ان تتفاقم فتماثل وربما تفوق في خطورتها القضية الفلسطينية .

### ٢ - العلامات المميزة للتحرك الانفصالي خلال الاحداث

أ - رئيس الجمهورية السيد سليمان فرنجية تخلى عن دوره كرئيس لجميع اللبنانيين ودخل طرفا في الحرب الاهلية من الناحيتين السياسية والعسكرية ، خاصة وهو مؤسس ميليشيا معروفة باسم

و ١٥ الف لبناني ) في الوقت الذي كانت تبحث فيه قضية فلسطين في مجلس الامن بعد ١٢-١٦-٧٦ ، ثم اعلنوا ان حرب تحرير كامل التراب اللبناني قد بدأت .. ضد العرويين طبعاً .

ز - عمل الانعزاليون على اضعاف الطابع الديني عمداً على الكثير من تصرفاتهم ، وكان ابرز تصرف هو قيام محاربيهم بتعليق صليب خشبي كبير بشكل استفزازي على صدورهم تشبهاً ب « الصليبيين القدماء » .

ح - لم يوفر الانعزاليون الرعايا العرب من مذابحهم ، بل قاموا بالبطش بهم اينما علقوا في شبكهم ، رغم تشدقهم المتناقض ب « الشقيقات » العربية وبالمدافع عن قضايا العرب .

ط - يصنف الانعزاليون المقاومة الفلسطينية بين « مقاومة شريفة » واخرى غير شريفة ، وهم فعلاً ضد المقاومة اطلاقاً ، لانها تمثل الارادة العربية بمقاومة الصهيونية حليفة الانعزالية . فعقب اجتماع « اللقمة المارونية المسلحة » برئاسة سليمان فرنجية صدر بيان عشية اجتياح مخيم ضبية ( ١٤-١٦-٧٦ ) جاء فيه « ان الطائفة المارونية في لبنان تعتبر ان النزاع الحالي انما هو نزاع بين اللبنانيين خاصة المسيحيين منهم وبين الفلسطينيين من مسلمين ومسيحيين » علماً بان مخيم ضبية يضم لاجئين فلسطينيين مسيحيين .

ي - يشر اقطاب الحركة الانعزالية موضوع « تسليح المخيمات الفلسطينية » في الوقت الذي يعرقلون فيه اتخاذ اية اجراءات فعالة للدفاع عن ارض الوطن وسمائه وسواحلهم ، علماً بان تسليح الفلسطينيين في لبنان كان بالدرجة الاولى للدفاع عن النفس ضد الغارات الاسرائيلية المتكررة .

ك - قبل الاحداث وخلالها ، دأب دعاة الحركة الانعزالية من الموارنة على الاصرار بالادعاء انهم يمثلون جميع مسيحيي لبنان وينطقون باسمهم ، وان ما عداهم اقل منهم « لبنانية » وبالتالي فان الطائفة المارونية هي التي تستحق بنظرهم تمثيل كل لبنان ، علماً بانها تشكل اقل من ٢٠ بالمائة من عدد اللبنانيين ، كما دأب بعض دعائهم على الادعاء بان موارنة لبنان هم حماة الایمان المسيحي في الشرق ، وبالتالي فان « لبنانهم » يجب ان يكون ملجأ جميع مسيحيي الشرق .

ل - يلاحظ ان مئات من « الجامعيين » و « رجال الفكر » واصحاب المهن الحرة من اطباء ومحامين ومهندسين وغيرهم قد شاركت في الاعمال القنرة التي شهدتها الحرب الاهلية ، وذلك ضمن اطر مختلف الميليشيات الانعزالية المسلحة ، بل ان المسؤول عن احد التنظيمات الجديدة التي ظهرت خلال الاحداث هو « نقيب » اطباء الدكتور فؤاد الشمالي .

ولا يفوتنا الاشارة الى « الشاعر » سعيد عقل ، احد منظري الحركة الانعزالية ، والذي هو بالنسبة صاحب الدعوة الى احلال « العامية » محل « الفصحى » وكتابة اللغة العربية بالحرف اللاتيني .

## ٣ - مواقف الحركة الانعزالية بعد الحرب العالمية الاولى

أ - مرحلة الانتداب ( ١٩١٩ - الحرب العالمية الثانية ) :

ادت الحرب العالمية الاولى الى القضاء على الامبراطورية العثمانية والى دخول بلادنا ضمن نطاق النفوذ الفرنسي . ونظراً لآثر التدخلات الاجنبية فقد تراءى للانعزالية ان الفرصة قد سنحت لربط « جبل

لبنان » ذي الاثرية المارونية في حينه مباشرة بفرنسا ، غير ان مصلحة فرنسا الدولة الكبرى كانت تقضي بتوسيع نفوذها ليشمل اكبر جزء ممكن من الشرق العربي ذي الاثرية الاسلامية ، فكان مولد « دولة لبنان الكبير » ( الحدود الحالية ) على يد الجنرال غورو بعد معركة ميسلون ( ١٩٢٠ ) . وحظيت الانعزالية بعدئذ ، بالرعاية الكاملة من قبل فرنسا ، التي شجعت انصارها من الموارنة وغيرهم ، على التغفل في اجهزة الدولة . ولا يفوتنا ان نذكر بهذه المناسبة ان « الكتاب » قد نشأت في تلك الفترة ( ١٩٢٦ ) بايحاء من سلطة الانتداب لعجابهة الوطنيين من جميع الطوائف ، وقد ترأس تلك المنظمة منذ ذلك الوقت الشيخ بيار الجميل . وبالمقابل كان الوطنيون يقاومون الانتداب ويعملون للاستقلال حتى كانت الحرب العالمية الثانية ، فنشأت متغيرات دولية مهدت لمرحلة الاستقلال .

## ب - مرحلة نيل الاستقلال ( ١٩٤٣ )

نتيجة التغيرات المشار اليها ، اضطرت فرنسا للاعلان عن استقلال سورية ولبنان ( حزيران ١٩٤٢ ) ، فقوى الاتجاه الاستقلالي في البلاد وضعف التيار الانعزالي المرتبط بفرنسا دون ان يتلاشى . في هذه الاجواء ، تمكن الاستقلاليون من جميع الفئات من وضع اساس دولة الاستقلال ضمن صيغة وطنية تؤمن بالتعاون التام مع الدول العربية وقد كان لبنان بالفعل من مؤسسي جامعة الدول العربية ( ١٩٤٥ ) .

## ج - مرحلة الاستقلال ولتاريخه

ما ان بدأت تتضح اتجاهات الحرب العالمية الثانية وتظهر نتائجها ، حتى عادت الانعزالية في لبنان تطل برأسها ، اعتماداً على اتجاه الدول الكبرى الى اعادة اقتسام مناطق النفوذ في الشرق الاوسط والى تشيبت مصالحها . وهكذا رأينا الانعزاليين يجاهرون تارة بمعارضتهم لجلاء القوات الاجنبية عن لبنان ، ويطالبون تارة اخرى بانشاء وطن قومي مسيحي في لبنان ، على غرار وطن يهودي في فلسطين .

ومع ان جلاء الجيوش الفرنسية عن لبنان قد تم في نهاية ١٩٤٦ ، فان نكبة العرب في فلسطين بانشاء اسرائيل عام ١٩٤٨ قد انعشت امال الانعزاليين بإمكانية تحقيق احلامهم بالعمل الطويل المنظم وبالاعتماد على الدول الاجنبية .

ثم كان عهد كميل شمعون الذي صدم بتعاظم المد الوطني العروبي في لبنان ، فعمل على ادخال لبنان ضمن ما عرف « بمبدأ أيزنهاور » « حماية » للانعزالية . وهكذا حدثت فتنة ١٩٥٨ التي صعقت ، بتشجيع من كميل شمعون والكتائب ، الاجواء الطائفية في البلاد . على اثر تلك الاحداث تمكنت الكتائب من دخول مجلس النواب لأول مرة وانشأ كميل شمعون حزب الوطنيين الاحرار .

وبوصول سليمان فرنجية « الاقطاعي الطائفي » الى سدة الرئاسة ( ١٩٧٠ ) توفرت للانعزالية اللبنانية افضل الاجواء لتصعيد ممارساتها على جميع الاصعدة ، ومنها النشاط الاعلامي وشحن النفوس والاجواء بالتشنجات الطائفية وبالعداء للعروبة ( متمثلة خاصة بالفلسطينيين ) وتضخيم الميليشيات وتجهيزها حتى توفرت منذ اكثر من عامين ظروف هيأت لاحداث الاخيرة ضمن عوامل دولية مؤاتية .

## ٤ - التدخلات الأجنبية في الشرق وزرع بذور الحركة الانفrazلية في « جبل لبنان » .

أ - من الحروب الصليبية ( القرن الثاني عشر ) وحتى  
الغزو العثماني ( القرن السادس عشر )

بدأت التدخلات الأجنبية خلال الحروب الصليبية بمبادرات  
( ١٢١٣ م ) من باباوات روما نحو الكنيسة المارونية بفرض  
استمالتها ، ولم يكن ذلك بالشئ السهل بل استغرق قرونا .  
هذا ، وان اقتلاع الكنيسة المارونية من جنورها الشرقية وربطها  
بالقرب قد رافقه نزاعات بين الموارنة . ولجأت الكنيسة الكاثوليكية  
ايضا الى استخدام المرسلين الذين كانوا يتغلقون في اوساط  
الكليروس الماروني ويتباون رتبا كهنوتية رفيعة .

واستمرت المحاولات المختلفة ، والتقارب التدريجي ، حتى تم  
الاتحاد بين الكنيستين في ١٧٣٦ م ، وكان هنا ذروة النجاح في  
وضع كنيسة شرعية بكاملها تحت سلطة البابا بحيث اصبح توجه  
الروحي للموارنة نحو أوروبا ، أي نحو الغرب .

ب - الحكم العثماني وخاصة في القرن التاسع عشر

جرى تنظيم العلاقات التجارية بين الغرب والشرق ، التي نشأت  
في الحروب الصليبية ، وتوفقت فترة طويلة ، ثم استؤنفت في القرن  
الرابع عشر ، بموجب ما عرف بـ « الامتيازات الأجنبية » . وكان  
اشهرها اتفاق السلطان سليمان وفرنسا الاول ملك فرنسا عام ١٥٣٥م ،  
وكان هناك بعد ذلك اتفاقات سياسية اباحت للدول الأجنبية ومنها  
فرنسا التدخل في امور داخلية كحماية الحجاج الأوروبيين ( ١٧٤٠ )  
وبالتالي حماية النصارى الكاثوليك في سورية . .

بالاضافة الى ذلك كان هناك تدخلات مباشرة مع الموارنة ،  
بشخص رئيسهم الديني ، من قبل ملوك فرنسا ( ١٦٩٧ و ١٧٣٧ مثلا )  
وبواسطة قناصلهم وذلك مع تعهد « بحماية الموارنة » . كما لجأت  
فرنسا الى تعيين قناصل لها هنا ، من اهل البلاد ومن كبار اقطاعيي  
الموارنة ، وبعضهم كان على علاقة خاصة مع الامراء المحليين وخاصة  
الشهابيين . وشهد القرن الثامن عشر والقرن التالي تنصر الامراء  
الشهابيين ، وازدياد نفوذ الموارنة في « جبل لبنان » ، ووقوعهم  
تحت التأثير الكامل للرساليات التبشيرية والتعليمية التي كان جل  
افرادها من الفرنسيين . كما ان سياسة الامير بشير الثاني  
الحلبي قد هبت الظروف للفن الطائفية ( ١٨٤٠ - ١٨٦٠ ) حتى  
كان الانفجار الكبير عام ١٨٦٠ ، وعلى اثره ظهرت بوضوح اكثر ،  
« المسألة الشرقية » ، وتدخلات الدول الأوروبية في « الرجل المريض »  
بحجة « حماية الاقليات المسيحية » ، وقد فرضت تلك الدول على  
« جبل لبنان » حكم المتصرفية الذي اعطى الطابع الطائفي للجبل  
بشخص حاكمه « الكاثوليكي » « الاجنبي » . كما أن أحداث ١٨٦٠  
زادت الحساسيات الطائفية ، وجعلت الموارنة اكثر التصاقا بفرنسا  
ثقافة وتطلعا سياسيا ، حتى كانت الحرب العالمية التي توجت  
بمآسيها سوء الاوضاع في « جبل لبنان » خلال عهد المتصرفية ، وظن  
الانعزاليون ان الخلاص سيكون بسلب لبنان نهائيا عن الشرق والحقه  
بفرنسا بعد انتصارها في الحرب . وكانت الظروف التاريخية ، التي  
رافقت نشأة الموارنة ثم لجؤهم الى « جبل لبنان » وانقطاعهم فترة  
طويلة عن الاحتكاك بالعالم حولهم حتى كانت الحروب الصليبية وما  
لأها مما ذكرنا ، عوامل رئيسية في جعلهم العمود الفقري  
للانعزالية في لبنان ، وهذا واضح في الدراسة التاريخية المرفقة .

## ٥ - الاسباب الظرفية المباشرة لانتقال الحركة الانعزالية من العمل السياسي الى العمل العسكري .

اخذت الحركة الانعزالية منذ سنوات ، خاصة في الثلاث الاخيرة  
منها ، تعدل من نمط عملها ، وتحضر للانتقال من العمل السياسي  
المطلف بالمسألة الى العمل العلني العنيف ذي الطبيعة الفاشية ، الى  
ان كان الانفجار الاول في ربيع ١٩٧٥ . وقد تم هذا التغير في نمط  
العمل بعد ان وجدت الحركة الانعزالية انها ستخسر جميع مواقعها  
اذا تابعت عملها بأسلوب الحوار الديمقراطي والممارسة البرلمانية،  
خاصة وانها قد وجدت من اسرائيل وحلفائها كل ما تنفيه من دم  
ومساندة . اما الاسباب الظرفية ، التي ساعدت على دفع الحركة  
الانعزالية في اتجاه تغيير نمط العمل ، فهي كما يلي :

أ - ان التغير السكاني ( الديموغرافي ) بين اللبنانيين منذ  
عام ١٩٢٠ ( انشاء كيان لبنان الحالي ) قد ادى الى حصول اختلال  
عددي كبير لغير صالح الموارنة ( والحركة الانعزالية بشكل عام ) .  
ب - ان النمو العددي المشار اليه قد رافقته زيادة في عدد  
« المتعلمين » وتحسن في القدرة الاقتصادية اجمالا عند الفئات  
الاسلامية مما زاد في مخاوف الانعزاليين .

ج - تصاعد الحس الوطني عند كثير من اللبنانيين بشكل اخذ  
يهدد الشعور الطائفي الذي تستند اليه الحركة الانعزالية ، هذا  
بالاضافة الى تنامي الشعور العربي في لبنان خاصة بفصل وجود  
« المقاومة الفلسطينية » على أرضه .

د - بعد ان سادت الحكم خلال الثلاثين سنة الماضية ، هيمنة  
« مارونية » طائفية ، بفعل تأثير مرحلة الانتداب ، وتثبيت الامتيازات  
الطائفية « المارونية » ، بات من الاصح تسمية عهد الاستقلال « بالعهد  
الماروني » . غير ان هذا الحكم ، لم يحقق فعليا أي نجاح في  
اقامة الدولة المستقرة المتجانسة ، كما فشل في تحقيق أية سياسة  
انمائية فعالة في المناطق المتخلفة . وقد برز الفشل بشكل فاضح خلال

عهد الرئيس فرنجية حيث عم الفساد وساد الانحلال في النواحي  
السياسية والاجتماعية والانمائية على صعيد مختلف مؤسسات الدولة .  
ازاء هذا الواقع المرير ، ونتيجة لطالبة الفئات الوطنية بتحقيق  
الاصلاح وبالمشاركة الفعلية في الحكم ، توطد العزم لدى  
الانعزاليين على طمس الفشل ، فكانت الاحداث الاخيرة افضل وسيلة  
لذلك ، بتوتير الاجواء الطائفية وشحنها بواسطة مختلف الممارسات .

هـ - بعد حرب ١٩٧٣ خاصة ، اصبحت اسرائيل بحاجة ماسة  
الى تبرير وجودها الطائفي العنصري في المنطقة ، وذلك بالعمل على  
نشوء دولات طائفية عنصرية اخرى تكون في الوقت نفسه مبرا  
وحليفا لها ، وكان لدى الحركة الانعزالية كل الاستعداد والرغبة  
للعب هذا الدور في لبنان ، أو في جزء منه على الاقل .

و - نظرا للتوافق بين اهداف الصهيونية والانعزالية في ضرب  
العروبة ، فان الحركة الانعزالية وجدت نفسها تنجرف وهي بكامل وعيها  
الى العمل على استنزاف المقاومة الفلسطينية والهائها بمواضيع  
جانبية تمهيدا لضربها ، وضرب حلفائها العربيين في لبنان .

ز - نظرا للتوافق بين الاهداف البعيدة للانعزالية والصهيونية  
والقوى العالمية ، المعادية جميعها لتصاعد قوة العرب ، وبعد ان  
ظهر خلال حرب تشرين الاول ١٩٧٣ مدى تأثير التضامن العربي ، كما  
برز بعدها تزايد نفوذ العرب السياسي وتصاعدت مقدراتهم  
الاقتصادية والمالية ( النفط ومداخله المتزايدة ) ، فان الحركة  
الانعزالية قد تحالفت مع القوى المضادة لضرب التضامن العربي ،  
ولمحاولة تفكيك الشعب العربي في لبنان ، وفي غيره من الاقطار العربية

## ٧ - الحركة الانعزالية تحاول التشبه بالحركة الصهيونية

نعم ، بالرجوع الى التاريخ ( راجع الملحق ) ان نشأة الموارنة المذهبية ، كان لها تأثير كبير على ايجاد « الشعور بالاقليّة » لديهم تجاه ابناء ديارنتهم من سائر مسيحيي الشرق وتجاه المحيط الاسلامي في ما بعد .

كما ان مشاحناتهم المذهبية مع اليعاقبة من مواطنيهم المسيحيين تم اضطهاد الروم البيزنطيين لهم قد دفعهم الى « اللجوء الى جبل لبنان » فنشأت لديهم تلك العقدة بانهم « لاجئون » وبان لبنان الجبل « ملجأ » لا وطن كسائر الاوطان .

اما بقاؤهم قروننا عديدة في الجبل بعيدين عن الاحتكاك بالمحيط حولهم فقد نمى لديهم نزعة « الانغلاق » .

يضاف الى ما ذكرنا ، التدخلات الاجنبية للبابوات والمرسلين المذكورة في الملحق ، والتي استقلت اوضاع الموارنة المشار اليها وواحت اليهم انهم « وردة بين الاشواك » وانهم « شغب مختار ، اصطفاه الله ، وأوكل اليه المحافظة على الايمان الصحيح وكرامة المسيحية في الشرق » .

وتابعت التدخلات الاجنبية مع الموارنة في لبنان مساعيها حتى سلختهم كنسيا عن الشرق والحققتهم بالقرب فزاد شعورهم المصطنع بانهم غربيون عن هذا الشرق . . وجاءت فرنسا تعرض عليهم « حمايتهم » و « رعايتهم » امعانا في ابعادهم عن سائر اخوانهم في الوطن واكتسابهم وجعلهم اكثر التصاقا بها خدمة لمصالحها الاستعمارية في الشرق ، حتى اعتقد قسم كبير من الموارنة بإمكانية انشاء وطن قومي طائفي خاص بهم يرتبط مباشرة بفرنسا . وقد كان للارسلالات الاجنبية التأثير الاكبر في خلق التيار الفكري الانعزالي ، وذلك بطمس التاريخ الحقيقي للمنطقة وتزييف تاريخ اخر وتوجيه اهتمام الطلبة الى تاريخ فرنسا خاصة واوروبا عامة والى ثقافتها .

كما عمل المبشرون واتباعهم على محاربة اللغة العربية وتصغير دور الثقافة العربية مما رسخ في اذهان الاكثرية المارونية ضعف ، أو حتى انعدام صلتهم بالعروبة تاريخا وثقافة .

من هنا ، كان نشوء التيار الانعزالي المبني على فرضية وجود عنصرية مارونية متميزة ، وبالتالي اخذت الحركة الانعزالية تحاول تتبع خطى الحركة الصهيونية بتوجيه من القوى العالمية المعادية للعروبة .

### أ - في الاستراتيجية

- السعي لانشاء وطن قومي طائفي يستند الى ان الموارنة شعب مميز ومختار من الله وله ، حسب زعمهم ، صفاته القومية .

- الاعتماد على الغرب في انشاء ذلك الوطن وفي تأمين الحماية له .

- استخدام الولاء المزدوج للموارنة المغتربين في سبيل تأمين الدعم والمساندة ودعوتهم للعودة الى الوطن . وقد يكون انشاء « الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم » بداية لخلق المؤسسة العنصرية لربط المغتربين ، وخاصة الموارنة منهم ، على نمط الوكالة اليهودية ، ولقد صرح بدوي أبو ديب الامين العام لتلك الجامعة في ١٤-٢-٧٦ « اننا سنقتدي بما فعلته منظمات اليهود في الشتات لكي ندافع عن ثقافتنا وحضارتنا . . ان اكثر من ثلاثة ملايين لبناني (؟) مسيحي يعيشون خارج لبنان سيقومون بتنظيم صفوفهم لمساندة اخوانهم في الدين ، الذين يعانون في لبنان » .

باحلال حس الانتماء الطائفي الفتوي محل الحس الوطني والقومي ، تمهيدا لافتنال الصراعات الداخلية المدمرة .

## ٦ - بعض المعلومات عن أبرز قيادات ومنظمات الحركة الانعزالية

أ - السيد سليمان فرنجية ، رئيس الجمهورية ومنشيء (جيش التحرير الزغرتاوي) ( لاي تحرير ؟ ) لا يتعدى افقه الفكري حدود قرينته « زغرتا » ، ونظرته للمواطن تتحدد حسب انتمائه العائلي الطائفي. قامت الميليشيا التابعة له ، التي يشرف عليها ابنه طوني ، وتضم بعض الفارين من وجه العدالة ، بممارسات عسكرية بشعة ضد طرابلس وقضاء الكورة ، وبمجازر جماعية أشهرها مجزرة داريا وبقطع مياه الشرب عن مدينة رئيس الحكومة طرابلس .

ب - السيد بيار الجميل ، رئيس حزب الكتائب ، اسس الحزب عام ١٩٣٦ كمجموعة سياسية شبه عسكرية برعاية السلطة المتدبسة فرنسا لمقاومة الاتجاه العربي في لبنان . لم يدخل البرلمان الا بعد فتنة ١٩٥٨ التي اشعلها كميل شمعون وسانده فيها الكتائب . كانت لبيار الجميل ، حتى قبل انشاء دولة اسرائيل ، مواقف عبر فيها عن تعاطفه مع الحركة الصهيونية ، انطلاقا من مسعى الانعزالية لانشاء وطن قومي طائفي في لبنان . ( راجع الملحق التاريخي ) .

اما ميلشيا الحزب ، فهي اصخم ميلشيا انعزالية واكثرها تنظيما ، ولها أطر من رجال الاعمال واصحاب المهن من اطباء ومحامين ومهندسين ، والمنشدين خارج لبنان ايضا ، حيث يعملون مستترين لخدمة اهداف الحزب في البلاد العربية وفي بلاد الاغتراب ، امريكا واستراليا . وفي الاحداث الاخيرة فرض الحزب نفسه على سكان المناطق التي يسيطر عليها الانعزاليون ( المنطقة الشرقية من بيروت والتمن الشمالي وكسروان ) كبديل للسلطة في محاولة لتأمين بعض الخدمات بالقوة والخوة . شاركت الميلشيا بشكل بارز في عمليات التهجير القسرية والجماعية في حارة الفوارنة ، الكرتينا ، المسلخ ، مخيم ضبية الخ . . كما شاركت في الحصار التجويي لمخيمي تل الزعتر وجسر الباشا ومنطقة النبعة . قامت بمجازر جماعية ( عين الرمانة ، السبت الاسود . . ) وباعمال القنص والخطف والقتل حسب الانتماء الطائفي والتشويه والتعذيب . كما جندت الكتائب فتيات لبنانيات شاركن في جميع الاعمال المذكورة . .

ج - كميل شمعون ، مؤسس ميليشيا « الثور » المسبب لفتنة ١٩٥٨ ، التي جعلته قائدا طائفيا بارزا ، اشتهر باللاعيب السياسية اللثوية وبارتداء لباس العروبة الكاذب وهو الانعزالي المتعصب .

د - الرهيانات برئاسة الاباتي شربل قسيس المعروف بترده على الاراضي المحتلة في فلسطين ، قامت بدعم الميليشيات العسكرية على كافة الاصعدة ، ووضعت الاديرة ومؤسساتها في خدمة الاعمال العسكرية .

هـ - الرابطة المارونية برئاسة المحامي شاكر ابو سليمان ، كان لها ايضا تنظيمها العسكري الخفي .

و - « التنظيم » ( الماروني ) ، والمسؤول عنه الدكتور فؤاد الشمالي نقيب اطباء لبنان . اشتهر بممارساته البشعة لابيات وجوده في الساحة ، وفي صفوفه يكثر عدد اصحاب المهن الحرة ، والمسؤول عن التدريب هو « المحامي » جورج عدوان .

ح - حراس الازر ، ومنظرهم « الشاعر » سعيد عقل المفالي في عدائه للعروبة وللثقافة العربية خاصة . مسؤولهم العسكري « ابو ارز » وهو السيد اتيان صقر .

وهناك تنظيمات عسكرية اخرى باسماء عديدة ذات مدلولات دينية او عنصرية . ( مار نهرا ، جماعة الصليب ، فتيان ادونيس . . )

الصهيونية» في معظم نواحي الاستراتيجية والتكتيك لا يعني بالضرورة ان هناك تطابقا في الاساس الديني والتاريخي :

أ - في الاساس الديني : لا يمكن انطلاقا من مفاهيم الديانة المسيحية الوصول الى الاسس نفسها التي تقدمها الديانة اليهودية عن « شعب الله المختار » و « ارض اليعاد » وما الى ذلك ... فضلا عن ان الدين المسيحي هو دين المحبة والتسامح ، وهو يرحب بكل من يريد اعتناقه ، ولا يمكن « للمارونية » التي هي فغن من الفرع الكاثوليكي في الدوحة المسيحية الكبرى ان تختلف عن ما ذكرنا .

ب - في الاساس التاريخي : يزعم الصهيونيون زورا ، ان اليهود المنتشرين في العالم هم نتيجة عملية التشتيت والتشريد (الدياسورا) التي تعرض لها اليهود القدماء في فلسطين ايام السبي الروماني ، غير ان الوارثة الذين تركوا موطنهم الاصلي في وادي العاصي وسهول سورية الداخلية وقصدوا « شمالي جبل لبنان » ، كان ما وصلوا اليه « لجوء وتجمعا » لمظلمهم ، وكل ذلك هو عكس الشتات .

اما عملية « الهجرة » خلال القرن التاسع عشر فقد انطلقت لاسباب اقتصادية عقب اقامة « متصرفية جبل لبنان » التي فصلت بين « الجبل » وبين السهول المنتجة والموانئ الجيدة .

هذه « الهجرة » لا يمكن طبعا ان تشكل شيئا مشابها من الناحية التاريخية « للدياسورا » ، والا لكان جميع من هاجر من بلدان العالم المختلفة الى بقاع اميركا واستراليا طمعا بالثروة قد تعرض الى تشريد وتشتيت .

ولا يسعنا في الختام الا ان نلفت النظر مجددا الى خاصية من خاصيات الحركة الانعزالية ، وهي سياسة المراحل التي تعمل من خلالها الحركة لتحقيق اهدافها . وهكذا يتوجب التنبه دائما الى هذه الناحية والبقاء في حالة الحذر والترقب .

هذا ، ولا يستبعد بعد ان تراجع حاليا الانعزاليون المتطرفون عن سعيهم للتقسيم الذي لم يلق التجاوب اللازم من بعض القوى الدولية ، ان يلجأوا الى تحريك قضية اللامركزية الموسعة باعتبارها قضية داخلية بحتة ، ولكنها تنقل البلاد الى مرحلة الكاثنونات الطائفية ، بحيث تكون مقدمة لاعادة طرح موضوع التقسيم في ظرف مناسب .

### ملحق تاريخي

ان المقصود بهذا العرض التاريخي هو الفاء الاضواء على تاريخ الوارثة في لبنان من الزوايا التي تساعد على تبين ظروف نشأة الحركة الانعزالية ونموها عبر التاريخ بفعل التدخلات الاجنبية في الشرق .

### ٢ - عرض سريع للفترة السابقة للحروب الصليبية

ان « لبنان » او « جبل لبنان » ككيان سياسي لم يظهر الا في العصور الحديثة ، ( منذ الامارة المعنية العربية ايام فخرالدين في بداية القرن السابع عشر ) ، وخاصة في المائة سنة الاخيرة . وقد كان قبل ذلك تعبيرا جغرافيا يقصد به اجمالا سلسلتا جبال لبنان الشرقية والغربية بما فيها احيانا جبل الشيخ ( أو حرمون ) .

ومنذ قديم الازمان نزلت في البقاع الواقعة شمال جزيرة العرب في ما عرف ببلاد ما بين النهرين وسورية الطبيعية اقوام خرجت بغالبيتها العظمى من شبه الجزيرة العربية وقد عرفت اصطلاحا

ب جعل ذلك الوطن ملجا وملاذا لمسيحيي الشرق ابعادا لهم من اضطهاد مزعوم ، كما يفعل الصهيونيون عندما يشجعون هجرة اليهود من بعض انحاء العالم بزعم اضطهادهم هناك .

### ب - في التكتيك :

تزوير التاريخ : وذلك لاختلاق المبررات الزاعمة بان الوارثة يشكلون قومية متميزة وليسوا عربا ، وبأنهم من اصل خاص يختلط فيه الفينيقيون والعناصر غير السامية ، وما الى ذلك مما ليس له أي اساس من التاريخ الصحيح ( راجع الملحق ) . فالوارثة باكثرتهم الساحقة ، عرب كسائر شعوب الاقطار العربية الشرقية ، اي من وطن عرقي واحد : شبه جزيرة العرب .

اعتماد الدين : ( كما تمتنقه طائفة معينة ) كأساس للرباط العنصري بين افراد الطائفة المارونية ، واعتباره كشرط كاف لاجاد الدافع لترابط الوارثة المقيمين في لبنان ، مع الاخرين المتغربين الذين تركوا لغتهم ومقوماتهم الاخرى .

اعتماد سياسة المراحل : تعتمد الحركة الانعزالية لتحقيق اهدافها البعيدة على اسلوب المراحل الذي يساعد على تذليل الصعوبات الآتية اولا بأول ، وتبني التريث الى ان تنشأ الظروف المؤاتية وخاصة دوليا . ويتمشى هذا الاسلوب مع المخادعة والنفاق ، في سبيل غش الخصوم وايهاهم زورا بان الانعزالية قد تخلت عن نشاطها وعن العمل باتجاه اهدافها .

وضع الاجيال الناشئة ضمن اجواء فكرية خاصة : يشدد الانعزاليون على ما يسمونه « بالتعليم الحر » ويقصدون به حرية الرساليات الكاثوليكية خاصة ، من اجنبية ومحلية ، في التعليم حسب التوجهات التي يراونها مناسبة لافكارهم ، وهم يعارضون في الوقت نفسه تطوير مناهج التعليم وتوسيع دائرة التعليم الرسمي ورفع مستواه امصانا في ابقاء « التعليم التبشيري » هو المسيطر ، خاصة في المناطق المارونية . ويتعاونون مع الرهانيات ( التي شاركت في الحرب الاهلية ) ومؤسساتها المختلفة على « تمييز » الشبيبة المسيحية ( و المارونية خاصة ) في اجواء متعصبة ضمن جماعات مغلقة على قدر الامكان ، في محاولة لمرقلة الاختلاط والتبادل الفكري مع باقي المواطنين من الطوائف الاخرى . وقد تصاعد هذا النوع من فرض الحجر الفكري ، اثناء الاحداث طيلة الشهور العشرة ، حتى اصبحت مناطق الانعزاليين « غيتوات » مغلقة اعترف بوجودها الكثيرون ، ومن اشهرهم السياسي الماروني ريمون اده .

تنظيم الشباب : اهتمت الحركة الانعزالية بتنظيم الشباب وكانت اولى البدايات الواضحة تأسيس « الكئاب » كجمعية رياضية ذات تنظيم شبه عسكري عام ١٩٣٦ ، كما رافق ذلك الاهتمام بجمعيات الكشافة وما شابهها .

هنا ويلاحظ ان الكئاب قد طورت اساليب عملها في عهد الاستقلال وتحولت الى ما يشبه « الهاغاناه » وامثالها من العصابات الصهيونية ، وذلك كسائر ميليشيات الانعزاليين .

التوسع في استعمال العنف البشع : منذ بداية الاحداث انفجر الحقد الانعزالي بوجه المواطنين المسلمين ، وبوجه المواطنين العرب اجمالا ، وتمثل في عمليات الخطف والتعذيب والتشويه والقتل والقنص دون أي سبب سوى الانتماء الطائفي أو القومي .

وقد خدمت هذه الاعمال خطة الانعزاليين في تقسيم المناطق اللبنانية وفي التهجير الطائفي وفي اعلان العداء للعروبة .

ان محاولة « الحركة الانعزالية » في لبنان تقليد « الحركة

« بالساميين » ، وقد كان منهم الاموريون والكنعانيون ( ومنهم الفينيقيون ) والاراميون والاشوريون والايطيوريون ( او العيطوريون الذين نزلوا الارياف جنوبي جبل لبنان قبل الميلاد بقرون عديدة ) والقبائل العربية الاخرى ( غساسنة ، مازدة ، الفخ .. ) .

ومن المفيد ان نشير الى ملاحظتين :

أ - ان الفينيقيين قد نزلوا السواحل وأسسوا الممالك - المدن من عكا جنوبا وحتى اللاذقية شمالا مروراً بصور وصيداً وبيروت وجبيل وطرابلس ولم ينشئوا اية دولة او سلطة موحدة . وكانت السفوح القريبة من الشاطئ وحيث الجبال خالية اجمالاً من السكان تتبع سلطان الممالك - المدن الى حد ما .

ب - الشعوب « السامية » المشار اليها اعلاه تخلت تدريجياً عن وثنيته واخذت تعتنق الديانة المسيحية بمختلف نحلها ومللها خاصة بعد اعتناق الحكم البيزنطي لها . وقد ظهرت قبل الفتح العربي بحوالي ٢٠٠ سنة في سهول سورية الداخلية على ضفاف العاصي وحتى حلب وانطاكية شمالاً جماعة دينية مسيحية نسبت الى احد المتسكنين واسمه « مارون » فعرفت بالوارنة . كما ظهرت جماعات اخرى كاليقابة الذين كان لهم نزاعات دموية مع الوارنة ( بسبب الخلاف المذهبي ) استمرت حتى الفتح العربي حين سمح للموارنة « باللجوء » الى القسم الشمالي من « جبل لبنان » ( الجبال الموازية للساحل بين طرابلس وجبيل على السلسلة الغربية فقط ) . فكانت بداية اقامتهم في شمالي جبل لبنان وذلك ابتداء من النصف الثاني للقرن السابع الميلادي .

وكان الفتح العربي لسورية الطبيعية بشهادة المؤرخين فتحاً يسيراً لان السكان الساميين ، ومنهم كانت بعض القبائل العربية المسيحية كالغساسنة وامثالهم ، قد رحبوا بالعرب الفاتحين الذين تربطهم بهم روابط القرى العرقية . وقد جاءوا يخلصونهم من حكم « البيزنطيين » الغريباء عنهم عرفاً ولفة وثقافة . هذا مع الصلح ان « جبل لبنان » كان شبه خال من السكان اللهم الا من بعض النسك .

وقد يكون من المفيد ان نذكر هنا ان بعض العائلات اللبنانية المارونية العريقة تعتقد انها من عرب جنوب الجزيرة العربية كآل الخازن الذين يدعون بانهم من الغساسنة او آل ملحمة الذين يقولون ان اجدادهم قد اتوا الى العاقورة ( جبل النيطرة ) من حوران ايضاً وعن طريق دمشق ( ف. حتى - لبنان في التاريخ ) فالوارنة اذن هم عرفاً عرب .

وفي النصف الثاني للقرن العاشر ، بعد ان حل الضعف في الدولة العباسية واستطاع الروم استرجاع قسم كبير من سورية ، ترك باقي الوارنة وادي العاصي و « لجوا » الى شمالي جبل لبنان وقسم اخر منهم الى حلب حيث اجتمعوا بامرأته العرب المسلمين من بني حمدان ثم بني مرداس . وقد كانت المدينة السورية التي لم تسقط في يد الروم . ( د. ك صليبي - الوارنة ، صورة تاريخية ) .

وهكذا تبين ان « لجوء » الوارنة كاقليّة دينية الى شمالي جبل لبنان قد تم على مرحلتين : الاولى بسبب مشاحناتهم مع مواطنيهم المسيحيين من اليمامة ، والثانية : هرباً من اضطهاد اخوانهم في النصرانية وهم الروم الغريباء ، اما العرب المسلمون فكانوا افضل حماة لهم داخل امبراطوريتهم الكبرى . وقد مكث الوارنة في بيئتهم الجبلية المحصورة في الكتلة الجبلية الموازية للساحل بين طرابلس وجبيل قروناً عديدة حتى حوالي نهاية الحروب الصليبية ، فكانوا قليلي الاحتكاك بالمحيط حولهم حتى بالغ بعض المؤرخين بالقول « انقطع الوارنة بعد لجوئهم الى جبل لبنان عن العالم الخارجي » ( د. ك

صليبي - الوارنة ، صورة تاريخية ) . اما فترة الحروب الصليبية فلم تشهد اية علاقة خاصة او متميزة بينهم وبين الصليبيين بل كان منهم بعض المرتزقة من الادلاء وحملسة الاقواس كما كان من غيرهم بعض الفرسان المسلمين والمشاة الارمن ( فيليب حتى - لبنان في التاريخ ) . وهنا لا بد من لفت النظر الى انه من الناحية الدينية الكنسية كان الوارنة من المسيحيين الشرقيين الذين لا علاقة لهم بالكنيسة الغربية في روما حتى بدأت بعض الاتصالات البابوية بهم خلال الحروب الصليبية مما سنعود له فيما بعد .

.. وبعد الفتح العربي ، بالإضافة الى الوارنة الذين لجأوا كما قلنا الى شمالي جبل لبنان ، فقد نزلت ابتداءً من منتصف القرن الثامن في جبالنا ، خاصة المحيطة منها ببيروت ، قبائل عربية ( مسلمة ) من اللخمين والارسلانيين ثم التنوخيين فعمرت الجبال بالسكان المقيمين . وخلال الحروب الصليبية تعززت عروبة هذه البلاد على عكس ما قد يظن بعضهم « فقد بقيت جبال بيروت مع المسلمين فيما كانت المدينة في ايدي الفرنجة » ( تاريخ بيروت لصالح بن يحيى التنوخي ) . ووفد المزيد من القبائل العربية الاصيلة كالفنيين والشهابيين الذين شاركوا مشاركة فعالة في تطهير البلاد من الفرنجة وفي حمايتها من غزوات فلولهم على سواحلها ، وفي عهد المماليك اخذ الوارنة ينتشرون جنوباً فدخلوا كسروان باعداد كبيرة ، وهم لم يتعرضوا بشكل خاص لاي اضطهاد من المماليك ، بل على العكس فان التأديب قد اصاب فئات من المسلمين المتواطينين مع فلول الفرنجة ، فحل الوارنة مكانهم في كسروان ، بعد ١٢٠٥ م . واذا كانت الحروب الصليبية قد شكلت نقطة تحول في تاريخ الوارنة فلانها بعد قرون من « العزلة » التي فرضها على انفسهم معظم الوارنة في شمالي جبل لبنان ، فولدت لديهم اولاً بحكم وضعهم الديني عقدة « الاقلية » بالنسبة لباقى المسيحيين ثم لجموع المسلمين وثانياً بحكم التجانبهم لبيئة جبلية عقدة « اللجوء والانطلاق » نقول بعد قرون من العزلة بدأت اوربوا نحوهم تحركاً مشبوهاً تمثل اول ما تمثل بتقرب روما منهم كنسياً .

## ٢ - نتائج الحروب الصليبية

منذ عام ١٢١٣ م بدأ البابوات يبحثون برسائل الى البطاركة الوارنة يشيدون فيها بحسن ايمان الكنيسة - المارونية وبرسوخ عقيدتها الثابتة وذلك لاجتنابهم مظهرين لهم شديد اعجابهم حتى لقد وصف احدهم الكنيسة المارونية « بالوردة بين الاشواك » ، امعانا في التحريض البطن . لكن تجدر الإشارة الى ان عملية اجتذاب الوارنة للاتحاق بكنيسة روما لم تكن سهلة بل انقسم الوارنة في الامر « وقام بين الفريقين خلاف شديد ادى الى اشتباكات دامية » هذا بالإضافة الى ان الفرنجة « كانوا على العموم ينظرون الى المسيحيين من ابناء البلاد بشيء من الفطرسه ويعتبرونهم ادنى مرتبة » ، وهكذا فان عملية اقتلاع الوارنة من جذورهم الشرقية وربطهم بالغرب ( روما ) تحقيقاً لمصالح البابوية التي كانت في الاساس وراء التحريض على الحروب الصليبية لم تكن عملية سهلة ولا بمبادرة من اهل البلاد بل بتحريض من الاجنبي خدمة للنفوذ الاوربي في بلادنا باصطناع اقلية ( دينية ) مرتبطة بالغرب . ومع الزمن اخذت العلاقات تتوطد حتى افتتح عام ١٥٨٤ في روما معهد خاص لتدريس اللاهوت لرجال الدين الوارنة . « ولقد كان لهذا الحادث مغزاه التاريخي فقد اخرج من هذا المعهد المرحوم رجاك الاكليروس الماروني الذين عادوا الى وطنهم ليعملوا في سبيل ضم الكنيسة المارونية الى حظيرة الفاتيكان ، لكن اتحاد الكنيسة المارونية التام مع الكنيسة البابوية لم يتم الا عام ١٧٣٦ ( ف. حتى - لبنان في التاريخ ) .

الامتيازات اساس الادعاء بان فرنسة هي حامية جميع النصارى الكاثوليك في سورية» ( ف. حتي ) .

وفي بلادنا بعد زوال عهد المماليك سيطر العثمانيون ، وقد تميز حكمهم :

أ - بالابقاء اجمالا على الحكم المحلي للامارات العربية في « جبل لبنان » ومنها على وجه الخصوص الامارة المعنية التي برز منها بشكل خاص الامير فخرالدين المعني الثاني وقد لقب بامير « صيدا وجبل لبنان » . وفي عهده تشييطا للزراعة شجع « الموارنة » على الانتشار جنوبا باتجاه الشوف كما نمت التجارة الخارجية واندفعت الارشاليات اكثر فاكثر نحو بلادنا للتعليم والتبشير .

ب - بتنظيم العلاقات المشار اليها اعلاه بين الدولة العثمانية والدول الاوروبية وازدياد التدخل السياسي المباشر لدولة فرنسة مع الموارنة بشخص رئيسهم الديني . وقد ظهر ذلك بشكل واضح منذ عام ١٦٩٧ عندما اصدر لويس الرابع عشر تعليماته الى فناصله في سورية لمساعدة « الامة » المارونية ( وكان تعدادها ٧٠ الفاً ) وليكونوا في عون سائر الكاثوليك في المشرق واعلم رئيس الكنيسة المارونية بالامر ، وبعد اربعين سنة جدد لويس الخامس عشر هذا التمهيد بحماية الموارنة مصدرا تعليماته الى فناصله « ليضعوا قنصلياتهم في خدمة بطريرك الموارنة ، وجميع افراد رعاياه » ( ف. حتي - لبنان في التاريخ ) . وقد ارتدى التدخل الفرنسي مظاهر اخرى منها تعيين قنصلهم من كبار اقطاعيي الموارنة ( آل الخازن في كسروان على وجه الخصوص ) فكان اولهم نادر الخازن ( ١٦٥٥ م ) الذي كان وصيا على احمد ابن الامير ملحم المعني كما كان منهم غندور اسعد الخوري ( عام ١٧٨٧ م ) الذي كان يشغل في الوقت نفسه منصب امين سر الامير يوسف الشهابي .

وقد شهد القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التالي خلافات شديدة بين الامراء الشهابيين خاصة بعد ان استقر الامر للقيسيين في جبل لبنان ( ومنهم الشهابيون ) بعد معركة عين داره ( ١٧١١ ) حيث انهزم البيهنيون ( منهم آل علم الدين خاصة ) فهاجرت اقوام عديدة من الدروز الى حوران حيث كانوا النواة لجالية درزية قوية هناك « وقد ادت معركة عين دارا الى اختلال التوازن الطبيعي الذي كان قائما بين مختلف الجماعات الروحية » ( وخاصة بين الدروز الموارنة ) ، وذلك طبعا على ضوء التدخلات الاجنبية المشار اليها . وقد تدخل في الخلافات بين الامراء الشهابيين ، ولو بشكل خفي امراء السر او المستشارون من الموارنة الذين كانوا يمثلون احسن تمثيل مصالح فرنسا ، مما زاد في نفوذهم وتأثيرهم على اولئك الامراء حتى رأيناهم ينتصرون « او يتنورتون » ولو خفية استجابا لتأييد (ماروني) مدعوم من فرنسا . وقد قيل مثلا عن شهرهم الامير بشير الثاني ( ١٧٨٨ - ١٨٤٠ ) انه « كان مسيحيا بالعمودية ( اي بالسر ) مسلما بالزواج ، ودرزيا بالمصلحة » ( ف. حتي - لبنان في التاريخ ) . هذا الامير الذي ايد ابراهيم باشا ضد السلطنة العثمانية عند اجتياحه وحكمه لسورية ( وقد توافق ذلك مع السياسة الفرنسية في حينه ) قد ارسل جيشا من « الموارنة » بقيادة ابنه خليل للمؤازرة في اخماد ثورة « دروز حوران » فكان هذا بداية عهد عداة بين الدروز والموارنة « ( ف. حتي ) .

٤ - الفتن الطائفية ( ١٨٤٠ - ١٨٦٠ ) :

نجاح الاجانب في التخريب

وهكذا نصل الى منعطف كبير في تاريخ « جبل لبنان » ، الى فترة « الفتن الطائفية » ( ١٨٤٠ - ١٨٦٠ ) . وقد كان من عوامل الانفجار ، بالإضافة الى ما ذكرنا اعلاه ، محاولات الامير بشير

يضاف الى ما ذكرنا تاثير « الحركة التبشيرية » التي بدأت خلال الحروب الصليبية مع تاسيس الرهبانيات الكرملية ( ١١٥٤ ) والفرنسيسكان والدومينكان ، والتي وصف مهمتها احد اساقفة الدومينكان عام ١٢٧٠ بالقول « نريد مرسلين لا جنسدا لاسترداد الارض المقدسة » ( ف. حتي - لبنان في التاريخ ) وكان من جملة الاساليب التي اتبعت ان امتزج بعض الرهبان الاجانب بالكلروس الماروني امتزاجا حتى تسلفوا فيه رتبا كهوتية رفيعة كالراهب الفرنسيكاني غريفون ( في لبنان ١٤٥٠ - ١٤٧٤ ) الذي كان يرسل الى رومة تلاميذ ليعودوا منها رهبانا قد تشربوا هناك الروح المطلوبة كجبرائيل القلامي الذي « كتب مقالات عديدة دافع فيها عن علاقة الكنيسة المارونية بكنيسة روما » ( ف. حتي - لبنان في التاريخ ) وقد تبوأ ذلك الراهب الفرنسيكاني مركز مطران ( توفي ١٥١٦ ) ونشرت له بعض الفصائد الزجلية التي يصف فيها الطائفة المارونية بانها « شعب مختار ، اصطفاه الله ، والجاه الى مناعة جبل لبنان ، حيث اوكل اليه المحافظة على الايمان الصحيح وكرامة المسيحية في الشرق » ( ك. صليبي - الموارنة ، صورة تاريخية ) .

وفي ايام المعنين والشهابيين والمتصرفية ( في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ) تدافعت ارشاليات الكوشيين واليسوعيين الى بلادنا تزيد في ترسيخ النفوذ الاوروبي في بلادنا وفي خلق العملاء له وتجميعها بواسطة « التعليم والتبشير » في اطر طائفية .

ومن الملاحظ انه « كان جل افراد هذه البعثات - سواء اكانوا مرسلين ام تجارا - من المواطنين الفرنسيين الذين كانوا عن عمد أو غير عمد يمهدون السبيل لتحقيق السياسة الخارجية الفرنسية التي وضعها لويس الرابع عشر ( ١٦٤٢ - ١٧١٥ ) والتي اتبعها خلفاؤه في تشجيع التجارة الفرنسية وحماية الكشكفة » ( ف. حتي - لبنان في التاريخ ) .

٣ - العهد العثماني ؟ ترسيخ النفوذ الاجنبي

والان لا بد من وقفة لتبين بعض الامامح للعلاقات الاقتصادية والسياسية بين الشرق والغرب انطلاقا من ظروف الحروب الصليبية ونتائجها .

فبعد انشاء الملكة اللاتينية في القدس عام ١٠٩٩ شعر الصليبيون بضرورة الاستيلاء على المدن الساحلية ضمانا لحرية المواصلات مع اوروبا .

وقد تم ذلك بمساعدة المراكب الحربية التابعة للجمهوريات الإيطالية والتي كانت تمدهم بالوّن والسلاح والجند .

ومن جملة المكاسب التي حصل عليها الملاحون الاوروبيون لقاء تلك المساعدة الحق في توريد البضائع وتصديرها دون دفع ضريبة المكوس ، وقد كانت تلك المنافع « مقدمة لما عرف فيما بعد بالامتيازات الاجنبية التي اخذت تمنح للتجار الاجانب في المشرق 'لادنى' » ( ف. حتي - لبنان في التاريخ ) . وبعد زوال خطر الغزوات الصليبية استؤنفت العلاقات التجارية مجددا عند النصف الثاني من القرن الرابع عشر « ( ف. حتي ، لبنان في التاريخ ) ثم توطدت في عهد العثمانيين بفضل « الامتيازات » واهمها اتفاق السلطان سليمان مع فرنسوا ملك فرنسا عام ١٥٣٥ الذي كان « اساسا لازدهار التجارة الفرنسية وانتشارها مع الشرق » وبالنسبة نشير الى معاهدة اخرى عقدت عام ١٧٤٠ بين السلطان محمود الاول ولويس الخامس عشر تنص بنودها على ان لفرنسة الحق في حماية جميع الحجاج والزوار ( الاوروبيين ) الذين يؤمون البلاد العثمانية . وقد كانت « هذه

فخر الدين المعني الكبير ) اي « جبل لبنان » مع الاقضية الاربعة وبيروت ( عكار - البقاع - جبل عامل - صور صيدا - بيروت - طرابلس ) ضد رغبة اكثرية سكان تلك المناطق « المصومة » التي كانت عروبية الاتجاه ( باكثرية اسلامية ) ترفض الانتداب الفرنسي وترغب بالعودة للدولة الام سورية العربية التي كانت تناضل من اجل الاستقلال التام . ويظهر كذلك ان الفئة الشديدة الحماس للفرنسيين في « جبل لبنان » كان يهملها في الدرجة الاولى قبل ١٩٢٠ ان يتبع « لبنان » فرنسا مباشرة اكثر بكثير مما كان يهملها توسيع حدود المتصرفية لتشمل ما عرف بعد ذلك بلبنان الكبير . وقد قال بشارة الخوري عن هذا الامر « وخفت البحث (١٩١٩) في انضمام لبنان الى المقاطعات الفرنسية وانصرفت سلطة الاحتلال الى التمسك بلبنان خشية حرمانها من السيطرة على غيره من اجزاء البلاد التي حرت من الحكم التركي » .

ومما علق في ذاكرة المؤلف عن حفلة استقبال هياها الفرنسيون الامر في فصل ( ربيع ١٩١٩ ) واوزوا فيها « اللبنانيين » بان يظهروا تسكهم بالاستقلال ( عن الدولة العربية في سورية ) قول احد الرجالين :

عيشي بذلي ما نحبا      تنظاها ما منتخبا  
يا منال الاستقلال      يا منرحل عا اوربا

ولم يكن اعلان « لبنان الكبير » ( المستقل تحت الانتداب ) الا بتحريض من فرنسا التي دعت البطريرك « الماروني » حويك الى باريس على رأس وفد من الاحبار والكهنة للمطالبة بذلك . « وقد ابهر عن جونه اواخر صيف ١٩١٩ على مدرعة حربية » ( بشارة الخوري - حقائق لبنانية ) .

وهكذا كان في انشاء دولة « لبنان الكبير » مصلحة كبرى لفرنسا التي كانت تنظر الى مستقبل نفوذها في الشرق ، وبالتالي لم يكن من مصلحتها تشجيع انشاء « دولة مسيحية » بل عملت على توسيع حدود « لبنان » ليكون دولة ليس لها اي طابع طائفي واضح ولكنها تضم ظاهريا اكثرية مسيحية معظمها من « الوارثة » التعاطفين مع فرنسا . ومع دستور ١٩٢٦ الذي رفضه العروبيون واكثرتهم من المسلمين اعلنت دولة لبنان جمهورية .

هكذا اخذ « الوارثة » يتمتعون تحت رعاية دولة الانتداب ومفوضها السامي بنفوذ متزايد في اجهزة الجمهورية المختلفة ، كما ان سياسة التربية والتعليم الرسمية بالإضافة للاراساليات قد وضعت لخدمة اهداف المستعمر - عامة ولتزييف الشخصية الوطنية خاصة ، وهكذا قويت النزعة المعادية للعروبية عند قسم كبير من الوارثة المهيبين لذلك اصلا وازدادوا التصاقا بفرنسا « الام الحنون » .

وبعد ان كانت فرنسا تعتمد سابقا على الكنيسة المارونية والزعماء الاقطاعيين والتقليديين الموارنسة ، شجعت عام ١٩٣٦ على انشاء منظمة شبه عسكرية « الكتائب » لمواجهة احزاب وتنظيمات اخرى ذات توجهات غير طائفية تتنافى مع مصلحة الاستعمار . وقد توافق ذلك مع بروز الفاشستية والنازية في اوربا ومع الثورة العربية في فلسطين ضد الصهيونية التي كانت هي ايضا تلقى تشجيعا من الدولة المنتدبة بريطانيا .

ومما يجب الالتفات اليه اننا لا نعني بكلامنا عن المتعاونين مع فرنسا جميع الوارثة ، فقد كان هناك منذ زمن بعيد قسم من الوارثة المنفتحين على الصالح العربي وقد برز منهم عدد كبير من المفكرين والسياسيين المعروفين ، واستمر هذا الاتجاه في عهد الانتداب ايضا . ويقول بشارة الخوري عن اجواء ١٩٢٦ في لبنان

— التتمة ص ١٠٤ —

القضاء على نفوذ مشايخ الدرود واعيانهم ( وذلك يذكرونا بما فعله كميل شمعون مع زعماء المسلمين التقليديين قبل ١٩٥٨ ) . كذلك كان من عوامل نعمة الدرود ازدياد عدد النصارى ونفوذهم في المقاطعات الدرزية ( نتائج معركة عين دارا و « تنصر » الامراء مثلا بالإضافة الى الدعم الاوروبي للموارثة ) . كما يمكننا ان نضيف الى العوامل الناجمة عن التأثير الفرنسي والاكليزي والبابوي على الموارثة طوال القرون الماضية ، العوامل الناتجة عن تدخل الكلترا وتحريفها للدرود وعن استغلال تركيا للنزاعات الفتوية في جبل لبنان لتدعيم نفوذها المتهاوي ، وتنافس الدول الكبرى اجمالا على اقتسام « ترعة الرجل المريض قبل وفاته » . وهكذا حدث الانفجار الكبير (١٨٦٠) بعد سلسلة انفجارات صغيرة (١٨٤١ ، ١٨٤٥) بين الدرود والوارثة الذين باتوا يعتقدون بانهم « جالية فائمة بذاتها وتمتع بحماية دولة كبرى كاتوليكية هي فرنسا » . وقد فشل حكم القائميتين في جبل لبنان (١٨٤٢ - ١٨٦٠) درزية ومارونية ، المقترح من قبل « مترنيخ » ( وبعتبر كيسنجر من كبار المعجبين به حاليا ! ) ففرضت الدول الكبرى ( ومعها تركيا ) ضد رغبة فرنسا ، وضع المتصرفية في جبل لبنان » . كانت فرنسا ترغب في اعادة حكم الامراء الشهابيين ( او على الاقل حكم زعيم ماروني آخر كيوسف بك كرم الاهدني - الزغرتاوي ) على لبنان تدعيما لنفوذها ، لكن الدول الكبرى الاخرى لم توافق فتوافق الجميع على جعل « جبل لبنان » متصرفية ذات استقلال داخلي ضمن السلطنة العثمانية يحكمها متصرف مسيحي كاتوليكي من رعايا الدولة العثمانية ، ولكن من غير اهل البلاد . وقد تميز عهد المتصرفية اجمالا (١٨٦١ - ١٩١٥) بسوء الحال في جبل لبنان ، نظرا لفساد الحكم وسوء الادارة وحرمان « الجبل » من المناطق الخصبة في الساحل الجنوبي خاصة ، والبقاع ومن المرافىء الجيدة ، فزادت الهجرة الى مصر وبلاد اميركا واستراليا . وكان معظم المهاجرين من الموارثة ، كما زاد في تلك الفترة نشاط الاراساليات « فكان لفرنسا قبل الحرب العالمية الاولى في سورية ( ولبنان وفلسطين ) . . . مدرسة تضم بين جدرانها ٥٠٠٠ تلميذ وتلميذة » ( ف. حتي ) والمعروف ان معظم تلك المدارس كان في « جبل لبنان » .

وعلى سبيل التذكير ، نشير الى انه في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الاولى وزادت فيها اطماع الدول الاوروبية في البلاد المحكومة من قبل الاتراك ، نشأت « الصهيونية » وعقد مؤتمر بال عام ١٨٩٧ فوضع اساس الحركة العنصرية الاستيطانية المدعومة من قبل الاستعمار . ثم كان ما كان . . حتى قامت اسرائيل عام ١٩٤٨ .

٥ — الحرب العالمية الاولى والانتداب الفرنسي —  
الوصاية على الحركة المارونية ورعايتها .

نصل الان الى منعطف جديد وخطير هو الحرب العالمية الاولى التي انتهت عهد « متصرفية جبل لبنان » وافسحت المجال ، بنتائجها ، امام الاستعمار الفرنسي ان ياخذ مدها في بلادنا تحت صيغة الانتداب . وعلى كل حال ، فقد كان تثبيت دعائم النفوذ البريطاني - الفرنسي في الشرق اتنذ ردة صليبية استعمارية بمعناها الواسع . فقد قال الجنرال اللبني عند دخوله كنيسة القيامة بعد دحره للاتراك « الان انتهت الحروب الصليبية » وقال زميله غورو بعد دخوله دمشق اثر موقعة ميسلون ، وهو يقف على قبر صلاح الدين « صلاح الدين ها قد عدنا ، وانها لحملة صليبية جديدة » .

بعد موقعة ميسلون ( مواجهة بين الفرنسيين والجيش العربي في سورية ) التي فتحت ابواب سورية العربية امام الفرنسيين ، ( اعاد « الجنرال غورو اعلان (١٩٢٠) « لبنان الكبير » امارة



## الحركة الانعزالية

— تمة المنشور على الصفحة ١٥ —

بل اننا نخالف الذين يطالبون بجلاء الجيوش الفرنسية عن بلادنا .  
وبما أن وجود الجيوش عندنا لا يتنافى مع الاستقلال ، فاننسا  
نشجب شجبا عاليا اولئك الذين يصرون على المطالبة بجلاء القوات  
الفرنسية عن بلادنا » . ( جريدة الحياة ٢١ - ٣ - ١٩٤٦ ) هذا  
مع العلم ان الجلاء الناجز قد تم في نهاية عام ١٩٤٦ .

كما ان اوساطا أخرى كانت قد ماشت الفكرة الاستقلالية أخذت  
( ناسف لمقاطعة الصهيونية لانها تجاب على لبنان في رايهم اضرارا  
اقتصادية بالغة ) ( نصريح بيار الجميل مناسبة وجود لجنة التحقيق  
الانكليزية الاميريكية ٢ - ٤ - ٤٦ ) بل ان اخطر من هذا كان  
الحدث الخاص الذي ادلى به المطران مبارك ( ذو النفوذ الكبير )  
الى صحيفة ( بالستين بوست ) في ٢٦ - ٢ - ١٩٤٦ . ( . . ) نحن  
اللبنانيين المسيحيين ندرک ان الصهيونية تأتي بالتمدن لفلسطين  
وللشرق الاوسط كله ، واني منحس جدا للصهيونية . ) وهنا نورد  
ايضا ما ذكره بشارة الخوري عن تصرف اخر للمطران مبارك في  
صيف ١٩٤٧ : ( جاءتني رسالة من باريس تتضمن نسخة عن تقرير  
بعث به المطران مبارك الى اللجنة الدولية التي زارت لبنان للتحقيق  
بنقضية فلسطين ، وقد طالب المطران في تقريره بوطن قومي لليهود  
في فلسطين ، ووطن قومي للمسيحيين في لبنان ، منتقدا موقف  
المسلمين انتقادا مررا ، وقيل لي أن كميل شمعون قد اطع في  
جنيف على هذا التقرير ، ولكنه لم يبلفنا شيئا عنه . . وكنا اوفدنا  
شمعون الى جنيف ليمثلنا فيها . . ) ( حقائق لبنانية - الجزء  
الثالث ) .

نم كانت نكبة ١٩٤٨ التي اعطت الاوساط الانعزالية املا ظل كامنا  
في النفوس بان احلام الانعزالية ممكنة التحقيق بالعمل الدؤوب  
وذلك بالاعتماد على الدول الكبرى وخاصة اميركا التي اخذت  
تبريجيانحل في حنايا نفوسهم محل فرنسا بدءا بالتعصين التامركين  
كالدكتور شارل مالك ، مرورا « باصدقاء » الانكليز العربيين امثال كميل  
شمعون الذي اغرق لبنان في بحيرة من الدماء عام ١٩٥٨ ( ووفتها لم  
يكن للوجود الفلسطيني المسلح أي اثر ) اكراما لمبدأ ايژنهاور ، وانتهاء  
بجميع الانعزاليين ( ومنهم الكتاب ) في السنين العشر الاخيرة ( بمن  
فيهم اشدهم تفرسا ) وخاصة بعد هزيمة ١٩٦٧ ونحول موقف فرنسا  
الديفولية عن تأييدها المتعصب لاسرائيل ضد العرب .

ومما يجب الا يغيب عن البال المؤلفات التي كانت تظهر في  
الفترة الاخيرة وهي تشيد بالطائفة المارونية كجالية متميزة بسل  
كقومية قائمة بذاتها ، بالاستناد الى تزيف التاريخ وتحميل احداثه  
استنتاجات مهية لخدمة الفكرة القائلة بان لبنان قد اوجده الموارنة  
الذين وصفهم جيراثيل التلاي قبل حوالي ٥٠ سنة بانهم « شعب  
مختار » والذين قال عنهم د . كمال الصليبي عام ١٩٦٩ « وكان من  
الطبيعي ان يتسلم الموارنة . . دفة الحكم في الجمهورية . . الا ان الفكرة  
اللبنانية وان يكن الموارنة هم الذين دعوا اليها في الاصل . . الخ »  
اما الاب بطرس صو فقد وضع عام ١٩٧٠ كتابا من حوالي ٤٠٠  
صفحة عن تاريخ الموارنة من ٢٢٥ الى ٧٠٠ م وقد ختمه بالقول  
( و المارونية نسمة طاهرة تتحول بسرعة الى عاصفة لا يقف في  
طرفها شيء اذا تعرضت لاستقلالها ؟ ) لسوء . .

بعد هذا العرض التاريخي السريع والمكثف ، هل يبقى شك  
في أن الحركة الانعزالية المارونية قد نشأت بفعل عوامل تاريخية  
كان العامل الحاسم فيها التدخلات الاجنبية ؟ .

بيروت

« لبنانيون يسعون الى الاستقلال بافاء الانتداب ، وآخرون يتعلقون  
بالسلطة المتندبة وبدوام سيطرتها فيستعينون بها ويستمدون منها  
نفوذهم ومكانتهم . لبنانيون ينادون بالتعاون مع البلاد العربية ،  
آخرون يتمسكون بالعزلة والانكماش ويولون وجههم شطر الغرب  
وحده ، ويدبرون ظهرا للشرق رافضين كل تعاون معه ، متكررين  
للفته وتقايدته . روح لبنانية حقيقية لا تفرق بين مسيحي ومحمدي  
( مسلم ) ، وروح انتهازية ترتكز على تعصب طائفي ذميم مستترة  
بالوصاية الاجنبية لتحقيق اهداف خاصة . وليس هناك من غير  
على الدين ولا من بحزنون » .

٦ - الحرب العالمية الثانية وعهد الاستقلال

( العهد الماروني ) : المارونية تبلغ سن الرشد .

وهنا نصل الى منعطف هام اخر وهو الحرب العالمية الثانية .  
فقد جاء سير العمليات الحربية فيها بجبر فرنسا الحرة على ان  
تلعب بلسان الجنرال كاترو ، نيابة عن الجنرال ديغول ، استقلال  
سورية ولبنان في حزيران ١٩٤٢ . وفي الوقت نفسه جرت مداوات  
عربية في القاهرة اكد فيها بشارة الخوري اوفر المرشحين حظا  
لرئاسة الجمهورية بحضور مصطفى النحاس باشا وجميل مردم بك  
( ان لبنان يريد استقلاله التام ضمن حدود الحاضر ، واننا  
نريد التعاون مع الدول العربية الى اقصى حد على هذا الاساس .  
تم استندرت ان عددا من المسيحيين لا يعتقد هذا المذهب ، وقد  
يعاكسه لا اعتقاده بضرورة حماية اجنبية لبلاد . . ) وقد كان لجميع هذه  
التصورات تاثير بالغ على الفرنسيين اعداء العروبة في لبنان مما  
قوى الاوساط المعتدلة في الموارنة . ويقول ف . حتى « كان أكثر  
النواب المنتخبين ( ١٩٤٢ ) من الوطنيين الشديدي الحماس للقضايا  
الوطنية ومن الذين يعطفون على القضايا العربية » . وهكذا بعد  
ان « تحقوا ( المسلمون ) ان الرسالة استقلالية بحتة ، امنوا  
بالاستقلال وبلبنان وصاروا من اول عماله » ( بشارة الخوري )  
وبالتالي اصبح بالامكان ايجاد الاساس الجديد لدولة الاستقلال  
الذي تفاهم عليه بشارة الخوري ورياض الصلح ، فكان الميثاق الوطني  
وهو تنازل الانعزاليين ( اكثرية من الموارنة ) عن التمسك بالحماية  
الاربية وتنازل العروبيين ( اكثرية من المسلمين ) عن الاتحاد مع  
سورية . وقد استكملت مفاهيم الميثاق بالبيان الوزاري الاول الذي  
شدد على شجب القاعدة الطائفية وعلى وجوب العمل على التخلص  
منها ، كما اوضح علاقة لبنان باخوانه العرب « ان اخواننا في  
الافطار العربية لا يريدون للبنان الا ما يريدونه ابناؤه الوطنيين ،  
نحن لانريد الاستعمار اليهم مررا ، فتحسن وهم اذن نريده وطننا  
عزرا مستقلا ، حرا ، سيديا » .

وبذلك فتح في عام ١٩٤٣ الباب على مصراعيه لانشاء دولة لبنانية  
مستقلة متعاونة الى اقصى حد مع الدول العربية ورافضة للطائفية  
وصيفها ، ولكن ذلك لا يعني ان الانعزالية قد انتهت بل هي خبتت  
بانظار السانحة المناسبة ، فالوزارة الاستقلالية الاولى ( ايلول  
١٩٤٢ ) « استقبلت استقبالا حارا في بعض الاوساط ، واستقبالا  
حسنا في اوساط أخرى ، واستقبالا واجما عند فئة تقالي في حب  
الانتداب » ( بشارة الخوري ) . بل لقد بسدت بعض الاوساط  
الانعزالية تجاهر بمعارضتها لاستكمال اسباب الاستقلال مؤيدة ببقاء الجيوش  
الفرنسية في لبنان ، ومن ذلك خطاب البطريرك عريضة بالفرنسية في  
مدرسة عينطورة يوم ١٩ - ٢ - ١٩٤٦ ، وقد كانت الحكومة اللبنانية  
ممثلة بالاستاذ جورج حيمري « . . نحن لا يمكننا نكران هذا الجميل